نقض الادعاء

بوجود غلطات عربية ولغات غير عربية

في القرآن الكريم

بقلم :

أ.د/ علي علي علي شاهين

أستاذ بكلية أصول الدين - جامعة الأزهر بالقاهرة

قسم الدعوة والثقافة الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله المتفرد بالإنشاء والتصوير والاختراع ، المنـــزه عن الحدود والقيام والقعود والانحطاط والارتفاع، الموصوف بالعلم والحلم والشهود والاطلاع ، العزيز الذي تعالى عن الشبيه والنظير والإخوان والأتباع، العظيم الذي لا تحويه الأقطار ولا تدركه الأبصار ولا تحيط به الجهات ولا البقاع، القديم الذي أوضح لعباده وأهل حبه ووداده سبيلا، وأقام لهم من الآيات الصحيحة والبراهين الفصيحة دليلا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة من برئ من التقليد وشرب من كؤوس التوحيد سلسبيلا، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله الذي انشق له القمر، وكلمه الحجر، فأفحم أهل الكفر والزور والابتداع، صلى الله عليه وعلى أصحابه الغر الميامين صلاة تدوم بدوام ملك الله ...

أما بعد :

فإن التبشير والاستشراق ظاهرتان تستحقان الدراسة والتأمل، وهذه الدراسة لا تعد ترفا فكريا، بل تشكل قيمة علمية لها أبعادها ومراميها، ففي عالمنا المعاصر لا يجد المرء مجلة أو صحيفة أو كتابا إلا وفيه ذكر أو إشارة إلى شيء من الاستشراق، أو إلى ما يمت إليه بصلة من قريب أو من بعيد، ونظرات المفكرين إلى الاستشراق متباينة، فهناك من يؤيده ويتحمس له، وهناك من يرفضه جملة تفصيلا.

والواقع الذي لا يمكن إنكاره أن الاستشراق له تأثيراته القوية على الفكر الإسلامي الحديث إيجابا أو سلبا، أردنا أم لم نرد، ولهذا فإننا لا يمكن أن نتجاهله أو أن نكتفي بمجرد رفضه، وكأننا بذلك قد قمنا بحل المشكلة، ولذا فإنه ليس هناك

بديل من مواجهة المشكلة وطرحها على بساط البحث ودراستها.

إن أعداء الإسلام لما لم يستطيعوا إخضاع المسلمين، وإخراجهم من دينهم بقوة السلاح والسيف؛ أوعزوا إلى طلائعهم من المبشرين والمستشرقين أن يزعزعوا المسلمين في دينهم، وظهر ذلك بأساليب مُنوعة وفي أوقات متباينة، وفي أقطار متباعدة، وكان القصد من هذا كله هو النيل من الإسلام.

لذا فقد ألف المستشرقون رسائل للطعن في الإسلام والنيل منه، وانتقل هذا الداء إلى بعض المسلمين المستغربين باسم البحث العلمي تارة، وباسم التجديد ثانية، وباسم الاستعلاء والتقليد تارة أخرى ...

وهكذا، وقبل هذا وبعده: الحقد الدفين الذي استولى عليهم فاستغلوا غباء بعض ذوي الأقلام المأجورة بهدف تشكيك المسلمين في عقيدتهم وشريعتهم وقرآنهم وسنة نبيهم صلى الله عليه وسلم ﷺ، والأمثلة على ذلك كثيرة، نكتفي هنا بالإشارة إلى أهمها :

١- في مجال التهجم على الإسلام ذاته: زعم المستشرقون أن الدين الإسلامي اقتبس جل أحكامه من الديانتين اليهودية والمسيحية.

٢- وفي مجال التهجم على نبوة نبي الإسلام المصطفى ﷺ: ينكر جمهور المستشرقين أن يكون محمد ﷺ نبيا يوحى إليه من عند الله عز وجل، ويتخبطون في تفسير مظاهر الوحي التي كان يراها الصحابة، فمنهم من يرجع ذلك إلى صرع كان ينتاب النبي ﷺ، ومنهم من يفسر هذه الظاهرة بمرض نفسي، ومن هذا المنطلق ادعوا أن الذبيح إسحاق وليس إسماعيل، وادعوا أن عيسى عليه السلام أفضل من محمد ﷺ.

٣- ويتبع إنكارهم لنبوة الرسول ﷺ: إنكارهم أن يكون القرآن الكريم كتابا سماويا عن عند الله تعالى، وادعاؤهم زورا وبهتانا أن النبي قد افترى وألفه من عنده،

ولفقه من التوراة والإنجيل، وادعاؤهم أيضا أن القرآن الكريم مليء بالأخطاء اللغوية والكلمات الأعجمية، وأن القرآن الكريم مليء بالتكرار، وغيرها من الشبهات ﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴾. وفي هذا البحث سأرد - بفضل الله - على شبهتين :

الشبهة الأولى : نقض الادعاء بوجود غلطات عربية في القرآن الكريم

قال صاحب ذيل مقالة في الإسلام من ص (٤٤٦-٤٥٢) :

«ثم إن للفصاحة في العربية قواعد وأصولا وضعوها هم أنفسهم، وعدوا في جملتها سلامة الكلام من ضعف التأليف، ومن الغرابة والتنافر ومخالفة القياس، وسترى أن في القرآن من ذلك ما يخالف قواعدهم، ونحن لا نذكر لك منه إلا ما كانت المخالفة فيه بينة لا تحتمل التأول على علم منا أن المفسرين قد تمحلوا لكل من غلطاته تأولا، وعزب عنهم أن مجرد احتياجه إلى ذلك هو حجة عليه، ولو سلمنا لهم بما حاولوه من الحذف والتقدير لستر غلطه تارة وكشف معناه أخرى؛ لم يبق ثم من داع لوضع ما وضعوه من القواعد، ولأصبح كل لحن وتأوله بل عده من أنواع البديع ممكن على طريقتهم.

وإذا تقرر هذا فلنشرع في تعقب خطئه، قال في سورة البقرة [آية ١٩٦] قوله أولا: ﴿ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ﴾، والصواب: تلك عشر كاملة.

وقال في سورة الأعراف [آية ١٦٠]: ﴿ وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا ﴾، فأنث العدد وجمع المعدود، والوجه: التذكير في الأول والإفراد في الثاني كما هو ظاهر.

وقوله في سورة الحجرات [آية ٩]: ﴿ وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا ﴾، والوجه: اقتتلتا أو بينهم.

وقال في سورة المنافقون [آية ١٠]: ﴿ وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠﴾ ﴾ بجزم أكن، والوجه: وأكون بالنصب.

وقال في سورة آل عمران [آية ٥٩]: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ﴾، والوجه: فكان، لكن هذا يخل بالروى فأثر الإخلال بالمعنى ليستقيم له الروى.

ومما أخطأ فيه مراعاة للروى قوله: ﴿ سَلَامٌ عَلَىٰ إِلْ يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾ ﴾ سورة الصافات [آية ١٣٠]، والوجه: إلياس، وقوله في سورة التين [آية ٢] ﴿ وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾ ﴾، والوجه: سيناء.

ومن خطئه في الضمائر قوله في سورة الحج [آية ١٩]: ﴿ هَٰذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ ﴾، والوجه: اختصما في ربهما.

وقال في سورة النساء [آية ١٦٢]: ﴿ لَٰكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾، وكان الوجه أن يقول: والمقيمون الصلاة، كما قال بعده والمؤتون الزكاة، هذا ما تقتضيه القاعدة، إلا أن المفسرين زعموا أنه نصب المقيمين الصلاة على المدح أيضا، فلم استحق هؤلاء المدح، ولم يستحقه المؤمنون بالله واليوم الآخر مع أنهم أحق به وأولى؟

وقال في سورة المائدة [آية ٦٩]: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَىٰ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾، وكان الوجه أن يقول: والصابئين. وقال في سورة الأنبياء [آية ٣]: ﴿ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾، والوجه: وأسر النجوى» أ.هـ.

[نقول وبالله التوفيق]

في هذه الشبهة مسائل[١]:

المسألة الأولى :

ادعى [جرجس سال وصاحب الذيل] أن القرآن اشتمل على تراكيب لو وردت في غيره من الكتب لعدها علماء النحو والبيان غلطات لا محالة، ولكننا نحن المسلمين لا ننكر أن أولئك الذين لا يعرفون قواعد اللغة العربية وأسرارها من أعداء الإسلام، وأولئك الذين يقومون بتشكيك المسلمين في قرآنهم من المستشرقين غير المنصفين هم الذين يعدون هذه التراكيب غلطات نحوية، وما ذكرناه آنفا هو ما وقف عليه جرجس سال من الأغلاط النحوية والبيانية في القرآن الكريم، وأقره على ذلك القسيس الملقب نفسه بهاشم العربي، وإنني وإن كنت قد سخرت بجهالة هؤلاء القوم في كل قضاياهم، ولكن سخريتي بهم في هذا المقام لا يمكنني أن أعبر عنها بأي عبارة، وذلك لأن القواعد النحوية والبيان التي يقول عنها المبشرون إنما هي موضوعة على أساس القرآن الكريم، لأنه هو الأصل العربي الذي تواتر عن محمد رسول الله العربي، وتحدى به أفصح العرب منطقا، وأبلغهم قولا فعجزوا عن الإتيان بمثله، فكل ما يخالفه من العبارات يكون غير عربي بدون نزاع، فهل يظن هؤلاء الجهلة أن قواعد سيبويه والخليل أصل يطبق عليها القرآن، فيقال لما خالف هذه القاعدة إنه لحن؟ إن كانوا يظنون ذلك فقد بلغ بهم الجهل غايته، لأن الواقع أن قواعد الخليل وسيبويه وغيرهما من واضعي العلوم العربية إنما تكون صحيحة إذا وافقت القرآن الكريم، أما إذا خالفته في شيء لا يمكن تأويله فإنه يكون غلطا بلا نزاع.

---

(١) راجع كتاب أدلة اليقين في الرد على كتاب ميزان الحق وغيره من مطاعن المستشرقين المسيحيين في الإسلام - الشيخ عبد الرحمن الجزيري من ص ٤٧٥ ط أولى سنة ١٣٥٣ هـ سنة ١٩٣٤ م مطبعة الإرشاد - القاهرة - وعليه عولنا.

فهل يصح لعاقل يعرف الخطأ من الصواب أن يقول بعد ذلك إن في القرآن لحنا يخالف تلك القواعد؟

كلا. إنما الذي يصح أن يقال: إن قواعد العربية كلها يجب أن يكون مرجعها القرآن الذي ثبتت نسبته بالتواتر إلى محمد كما ثبت أن أفصح العرب اعترفوا بأنه أعلى مراتب البلاغة والفصاحة.

وبعد. فهل ظفر المبشرون حقا بآية في القرآن تخالف قاعدة العربية؟ ألا فليعلم القراء أن هؤلاء الجهلة لو استعانوا بكل المفكرين، وظلوا يبحثون ألف سنة كاملة أو أكثر من ذلك في القرآن الكريم لعلهم يظفروا بكلمة تخالف القواعد العربية البليغة لما وجدوا إلى ذلك سبيلا.

ونحن نعلم أن المبشرين إنما يرجعون إلى كتب المفسرين ويأخذون من أبحاثهم ما يسوقونه في صورة اعتراض وينسبونه إلى أنفسهم مع أنهم يعلمون أن المعترض قد أجاب عن اعتراضه بعدة أجوبة، ومن أجل ذلك نرى كثيرا من المبشرين لا يحسن نقل الاعتراض فيظهر جهله في صورة مكبرة مضحكة، ولا نريد أن نذهب بالقراء بعيدا بل نقول لهم إن الأمثلة التي اعترض بها جرجس سال واتبعه فيها القسيس الملقب نفسه بهاشم العربي شاهدة أكبر شهادة على ما نقول.

المسألة الثانية :

يقول [جرجس سال وصاحب الذيل] ففي سورة البقرة قوله : ﴿ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ﴾، والوجه: تلك عشر كاملة، وأنا أقول وبالله التوفيق: يا للعار ويا للجهل الشائن. لأن المعدود هو الأيام وهي جمع واليوم مذكر، والقاعدة في ذلك تأنيث اسم العدد، فالآية الكريمة منصبة على القواعد النحوية في ظاهرها وباطنها.

فماذا تخيله ذلك الرجل المضحك حتى حكم على الصواب بأنه ليس بصواب.

إنني أسأل أنصاره وأتباعه من المبشرين حتى إذا عرفوا وجها لخياله فليرشدونا إليه فإننا مستعدون لأن نجاريهم في كل ما يقولون ونجاوبهم عن كل ما يتخيلون حتى تظهر جهالتهم للناس أجمعين[١].

قال صاحب منهج السالك إلى ألفية ابن مالك في شرحه: «تثبت التاء في ثلاثة وأربعة وما بعدها إلى عشرة إن كان المعدود بها مذكرا، وتسقط إن كان مؤنثا ويضاف إلى جمع نحو عندي ثلاثة رجال، وأربع نساء وهكذا إلى عشرة.

قال صاحب الألفية :

ثلاثة بالتاء قل للعشرة في عد ما آحاده مذكره»[٢]

المسألة الثالثة :

يقول [جرجس سال]: وفي سورة الأعراف ﴿ وَقَطَّعْنَٰهُمُ ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا ﴾، فأنث العدد وجمع المعدود، والوجه: التذكير في الأول والإفراد في الثاني. نقول بالله التوفيق: الذي يلفت النظر في هذا المقام جرأة ذلك المؤلف المدهشة فإنه مع جهله الشائن بأساليب اللغة العربية وأغراضها لا يبالي أن يحكم حكم العالم الواثق فيقول إن عبارة القرآن ليست بصواب.

ونحن نقول لأتباع جرجس سال من المبشرين: ليس الأمر كما تفهمون لأن تمييز اثنتي عشرة ليس هو «أسباطا» بل هو مفهوم من قوله تعالى ﴿ وَقَطَّعْنَٰهُمُ ﴾. ومعناه وقطعام اثنتي عشرة قطعة. أي فرقناهم اثنتي عشرة فرقة. فاسم العدد مؤنث، والمعدود مؤنث طبقا للقواعد النحوية، ومن القواعد القياسية التي لا خلاف فيها جواز حذف

---

(١) أدلة اليقين- الشيخ عبد الرحمن الجزيري ص ٤٧٥.

(٢) منهج السالك إلى ألفية ابن مالك - شرح الإمام نور الدين أبي الحسن الأشموني ج ٢ ص ٢٩٦-٢٩٧ مطبعة محمد علي صبيح.

ما يدل عليه الكلام.

ولكن المبشر الذي يجهل اللغة العربية تمام الجهل ظن أن التمييز هو قوله تعالى أسباطا، فقال إن الصواب أن يكون التمييز مفردا فيقول سبطا وأن يكون اسم العدد مذكرا فيقول اثنا عشر. «على أن هذا التركيب في الذروة العليا من البلاغة، لأنه حذف التمييز لدلالة قوله ﴿ وَقَطَّعْنَٰهُمُ ﴾ عليه دلالة بديهية لا تخفى إلا على الأغبياء، ثم ذكر الوصف الملازم لفرق بني إسرائيل وهم الأسباط بدلا من التمييز، وذلك لأن أبناء يعقوب اثنا عشر وكل ولد منهم جاء بأبناء، فهؤلاء الأبناء هم أسباط يعقوب فكانوا اثني عشر سبطا بعدد أبنائه، ولو جعل الأسباط تمييزا فذكره مفردا، وقال وقطعناهم اثني عشر سبطا لكان الكلام ناقصا لا يليق أن يصدر عن البليغ، وذلك لأن السبط يصدق على الواحد، فيكون معنى الكلام على هذا أن أسباط يعقوب اثنا عشر رجلا فقط، وذلك غير الواقع، فلهذا جمع الأسباط على أنه لم يقتصر على الجمع لأن الجمع يصدق لغة على الاثنين مع أن أسباط يعقوب كثيرون، وقد عدت التوراة أسماء أبنائه وأبنائهم الذين جاءوا إلى مصر فقط ستا وستين نفسا [تكوين عدد ٢٧] فلذا قال الله تعالى بعد ذلك ﴿ أُمَمًا ﴾ لأن الأمة الجماعة الكثيرون.

فمعنى الآية أن الله فرق أسباط يعقوب اثنتي عشرة فرقة، وجعل كل فرقة جماعة كثيرة»(١).

قال صاحب الألفية :

وأول عشرة اثنتي وعشرا ... اثنى إذا أنثى تشا أو ذكرا

فالقاعدة النحوية: أن العدد المركب يؤنث لفظ العشرة فيه إذا كان المعدود به مؤنثا، نحو: إحدى عشرة، واثنتا عشرة، وثلاث عشرة، وأربع عشرة إلى تسع عشرة امرأة، ويذكر لفظ العشر فيه إذا كان المعدود به مذكرا. نحو: أحد عشر، واثنا

(١) أدلة اليقين ص ٤٧٧، ٤٧٨.

عشر، وثلاثة عشر، وأربعة عشر إلى تسعة عشر رجلا، فللمؤنث إحدى، واثنتا، والذكر أحد، واثنا، وأما ثلاثة وما بعدها إلى عشرة فحكمها بعد التركيب أن تثبت التاء فيها إن كان المعدود مذكرا، وتسقط إن كان مؤنثا (١).

ومثل هذه الآية من جميع الوجوه قوله تعالى: ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ﴾.

المسألة الرابعة :

مما نقله جرجس سال وذئبه هاشم العربي عن المفسرين مع الإغضاء عن الجواب الذي ذكروه ، ما ذكره بالنسبة لآية المنافقون فإنه قال: وفي سورة المنافقون آية ١٠ ﴿ وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾، والوجه: وأكون بالنصب.

نقول وبالله التوفيق: قد ذكر بعض المفسرين في بيان ذلك أن النبي ﷺ بلغ هذه الآية بالنصب والجزم، فقد تواتر عنه أنه قرأها وأكون من الصالحين بالنصب وبذلك قرأ كثير من رواة القراءات السبع، وإعراب الآية على هذه الرواية ظاهر لأنها معطوفة على أصدق المنصوب لفظا في جواب لولا التي هي هنا للتمني بمعنى هلا، كما أنه تواتر عنه أنه قرأ وأكن بالجزم، ووجهها في الإعراب أن أصدق وإن كان منصوبا لفظا ولكنه مجزوم محلا بشرط مفهوم من قوله لولا أخرتني، لأن قوله فأصدق مترتب على قوله إن أخرتني حتما، كأنه قال إذا أخرتني أصدق وأكن من الصالحين»(٢).

«وهذه قاعدة من القواعد التي وضعها علماء اللغة العربية، فإنهم قالوا إن العطف

(١) منهج السالك إلى ألفية ابن مالك الأشموني ج ٢ ص ٣٠٠، ٣٠١.

(٢) الجامع لأحكام القرآن – أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي- ج ٩ ص ١٣١ الطبعة الثانية، دار إحياء التراث العربي- بيروت ط ١٣٧٢ هـ-١٩٥٢ م.

على المحل المجزوم بالشرط المفهوم مما قبله جائز عند العرب.

وقد ذكر ذلك سيبويه عن الخليل، فالقرآن الكريم هو قاموس اللغة الذي يرجع إليه واضعوها ويبنون عليه قواعدهم كما قلت آنفا»[١]. وفائدة اختيار القراءة الثانية دون الأولى التنبيه على أن قوله تعالى ﴿ فَأَصَّدَّقَ ﴾ صالح للارتباط بلولا في الآية الكريمة، إذ يقال: لولا أخرتني فأصدق، في حين قوله ﴿ أَكُن ﴾ غير صالح للارتباط بها مباشرة.

فلا يقال من حيث المعنى: لولا أخرتني فأكون من الصالحين، لأنه لا ارتباط بين التأخير والكون من الصالحين، وبذلك يكون التقدير المناسب لمعنى الآية الكريمة هكذا: لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصدَّق وإن أصدَّق أكن من الصالحين.

المسألة الخامسة :

وكذلك ما نقله عن المفسرين في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ﴾ فالمفسرون قالوا أي [فكان] فظن جرجس سال وهاشم العربي أن المفسرين يصلحون بذلك الخطأ الواقع في القرآن، فقالوا إن الصواب كان، وإذا سألت المبشرين ما وجه الصواب وما وجه الخطأ في ذلك تجدهم بعيدين عن معرفة شيء من ذلك بُعد الأطفال الذين لا يحسنون النطق، ولكن ما الحيلة والمفسرون قد مهدوا للمبشرين طريق النقل عنهم كما تنقل الببغاء الكلام الذي لا تفقه له معنى، ولكن المفسرين قد ذكروا السبب الذي عبَّر الله عنه بهذه العبارة. قال الشيخ عبد الرحمن الجزيري: «إنما عبر بالمضارع لنكتة بديعة تقتضيها بلاغة القول، وهي أن الله تعالى يريد أن ينبه الناس إلى أن قدرته على إيجاد ممكن وإعدامه لم تنقض، بل هي مستمرة في الحال والاستقبال واقعة في كل زمان

---

(١) أدلة اليقين ص ٤٨٢.

ومكان، بطريق الحس والمشاهدة بحيث لا ينكرها إلا المبطلون المعاندون، فالذي خلق آدم من تراب ثم قال له كن فكان في الماضي قادر على أن يخلق غيره في المستقبل بأن يقول له كن فيكون، فكيف تستبعدون إيجاد عيسى من غير أب. هذا هو الغرض من التعبير بالمستقبل»[١].

فهل يستطيع جرجس سال وقسيس ذيل مقالة في الإسلام وغيرهما أن يفهموا هذا المعنى الذي ذكره المفسرون وهم أصحاب النظرات التي يخجل من تدوينها صغار الطلبة؟ كلا ولكنهم يستطيعون أن ينقلوا قول المفسرين أي (فكان) ويقولون إن التعبير (بيكون) خطأ، ولم يعلموا أن اللغة العربية تستعمل الماضي في المضارع وبالعكس لأغراض معنوية سامية تقتضيها بلاغة الكلام كما بينا.

وقال مؤلف كتاب (ثبات الإيمان ونصرة القرآن): «جاء القرآن بالمضارع استحضارا لذلك الأمر، وتصويرا له بصورة المشاهد، وإيذانا بأنه من الأمور المستغربة العجيبة، وذلك كثير في القرآن وفي أشعار العرب، ويجاب أيضا بأن الاستقبال المفهوم من المضارع إنما هو بالنظر للأمر بالتكوين. لا بالنظر لنـــزول الآية، فالمقام للمضارع حتى لو عبر القرآن بالماضي وهو (كان) لصح أن يراد منه المضارع وهو (يكون) لتلك النكتة»[٢].

المسألة السادسة :

وقال (جرجس سال) ومما أخطأ فيه القـــرآن مراعاة للروى قوله: ﴿ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾ ﴾ والوجه: إلياس.

---

(١) أدلة اليقين ص ٤٨٢.

(٢) ثبات الإيمان ونصرة القرآن - الشيخ محمد حلاوة المرصفى ص ٢٢٤ مطبعة الامتياز بالزقازيق ط ١٣٢٩ هـ.

ونحن نقول له وبالله التوفيق: إنه لا روى في القرآن لأنه ليس بقول شاعر، وإنما هو نثر بلغ النهاية القصوى في البلاغة والبيان، فلم يضطره الروى إلى أن يقول إلياسين، فلو قال سلام على إلياس، لم يخل بحسنه، ولكني أؤكد أن كنـــز اللغة العربية الذي لا ينفد وحارسها الذي لا يغفل هو القرآن الكريم، وقد علمنا القرآن هنا أن إلياس اسم معرب يصح أن يقال فيه إلياسين «وذلك لأن إلياس اسم لفينحاس بن العازر بن هارون عليهما السلام، ويقال له أيضا (إلياهو) ومعناه بالعبرانية (قادر أزلي) فنقله العرب إلى لغتهم وتصرفوا فيه ذلك التصرف، فمرة نطقوا به إلياس ومرة نطقوا به إلياسين، فمن التطفل المخزي أن يعترض على أرباب اللغة الذين اصطلحوا على أن ينطقوا باسم من الأسماء على وجهين فأكثر لأنهم أصحاب الحق في ذلك، وبدهي أن بعض العبارات المنقولة من لغة إلى أخرى إنما يعول فيها على اللغة التي نقلتها، لأنها أصبحت هي صاحبتها، فكما يقال لفينحاس هذا (إلياس بن العازر بن هارون) كذلك يقال له في اللغة العربية إنه إلياسين بن ياسين بن عيزار بن هارون، ويقال الياهو، وهي عبرانية معناها (قادر أزلي) وعرب فقيل إلياس .. إلخ»[١].

وبناء على هذا نجد القرآن الكريم تارة يعبر عن اسم النبي الكريم الذي نحن بصدده (بإلياس) كما ورد في قوله تعالى ﴿ وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ سورة الصافات آية ١٢٣.

وتارة أخرى يعبر عنه (بإلياسين) كما ورد في قـــوله تعالى في السورة نفسها ﴿ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ ﴾ آية ١٣٠، ويصح أن يقال: إن إلياسين اختصار من اسمي إلياس عليه السلام وأبيه (ياسين) فيطلق به على إلياس عليه السلام فلذلك قال القرآن ﴿ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ ﴾.

---

(١) أدلة اليقين ص ٤٨٠.

المسألة السابعة:

ومثل ذلك من جميع الوجوه ما ذكره ذلك المستشرق (جرجس سال) من أن قوله تعالى: ﴿ وَطُورِ سِينِينَ ﴾ خطأ والوجه: سيناء. نقول وبالله التوفيق: لعل ذلك المبشر ومن تبعه يظن أن اللغة العربية يجب أن تكون تحت سلطانهم، فلا يصح لها أن تخرج عما يرسمه جرجس سال وقسيس ذيل مقالة في الإسلام وغيرهما من المبشرين الفخام، فكل ما لايوافق أهواءهم يكون خطأ، الواقع أن جرأة هؤلاء الناس لا يمكن وصفها، وإلا فأهل اللغة العربية نقلوا أسماء أعجمية وأدخلوها في لغتهم فغيروها بحسب ما يلائم ذوقهم في النطق «فمنهم من نطق به سيناء، ومنهم من نطق به سيناء بفتح السين، ومنهم من نطق به سينين بكسر السين، والقرآن الكريم عبر عنه مرة بسيناء في سورة [المؤمنون][١] ومرة عبر عنه بسينين كما في سورة (التين)[٢].

وكل ذلك ليجيز للناس قراءة القرآن باللغات العربية المختلفة، وهذه القراءات كلها صحيحة، تلقاها الصحابة رضوان الله عليهم من رسول الله ﷺ»[٣]، فعلى أي وجه من الوجوه يعترض على أهل اللغة ويقال لهم إنكم غيرتم العبارة التي أدخلتموها في لغتكم؟

ولنفرض أن وجوه المبشرين التي لا تخجل تساعدهم على التدخل فيما ليس من شئونهم، ويقولون لأهل اللغة العربية إنكم أخطأتم في تغيير الاسم الأعجمي الذي عربتموه، فكيف يصح الاعتراض على القرآن الذي جاء بما يوافق لغة العرب، وهو قرآن عربي مبين، فمن لي بمن يقرأ مضحكات المبشرين ثم يضحك؟

---

(١) آية رقم ٢٠.

(٢) آية رقم ٢.

(٣) الجامع لأحكام القرآن ج ١٠ ص ١١٢، ١١٣.

المسألة الثامنة :

ومن مضحكات مؤلف مقالة في الإسلام وصاحب ذيل مقالة في الإسلام قولهما إن آية ﴿ هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ﴾ لحن والوجه: أن يقول اختصما في ربهم، ونحن نقول لهما ولأتباعهما من المبشرين كلا .. «إنه لو قال اختصما لكان خطأ عند البلغاء الذين يدركون معاني الكلم وأساليبها البليغة، وذلك لأن الفريقين اللذين اختصما هما أهل الكتاب الذين آمنوا بمحمد ﷺ ومشركو العرب الذين قبلهم، فأهل الكتاب يقولون إنهم أفضل لأنهم آمنوا بكتابهم ثم آمنوا بمحمد فانتقلوا من كتاب إلى كتاب، أما الذين آمنوا من الوثنيين فإنهم انتقلوا من الوثنية، والآخرون يقولون إنهم أفضل لأنهم سبقوهم إلى الإيمان، والله سبحانه وتعالى عدّ خصومتهم هذه في الطمع في زيادة الأجر عند الله تعالى وهو قادر على أن يرضيهم جميعا، وأنزلت فيهم هذه الآية، ولا ريب في أن كل فريق منهم جماعة كثيرون فينبغي للبليغ أن يأتي في العبارة بما يفيد أنهم جماعة، فقال: ﴿ ٱخْتَصَمُوا۟ ﴾ (١)، ولو أنه قال اختصما لم يقم دليل على أنه جماعة، فينصرف الذهن إلى التثنية الحقيقية، وذلك يتنـــزه عنه كلام الله تعالى، ومن القواعد المقررة في اللغة العربية التي لا جدال فيها أن مرجع الضمير يصح أن يلاحظ فيه لفظه، ويصح أن يلاحظ فيه معناه.

وقيل: الخصمان هم ثلاثة نفر من المؤمنين، وثلاثة نفر من الكافرين من قريش. قال الفخر الرازي في تفسيره: «روى قيس بن عبادة عن أبي ذر الغفاري رضى الله عنه أنه كان يحلف بالله أن هذه الآية نزلت في ستة نفر من قريش تبارزوا يوم بدر: حمزة، وعلي، وعبيدة بن الحارث، وعتبة وشيبة ابنا ربيعة، والوليد بن عتبة، وقال علي أنا أول من يجثو للخصومة بين يدي الله تعالى يوم القيامة» (٢).

---

(١) التفسير الكبير للإمام الفخر الرازي ج ٢٣ ص ٢١ ط ثالثة – دار إحياء التراث العربي بيروت.

(٢) المرجع السابق، الصفحة نفسها.

المسألة التاسعة :

اعترض صاحب الذيل أيضا على نصب (المقيمين الصلاة) في قوله تعالى في سورة النساء: ﴿ لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ وَٱلْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ۚ وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ الآية، والوجه: والمقيمون.

ونحن نقول له وبالله التوفيق: إن الصواب هو الذي ذكر في الآية الكريمة، وذلك لأن القرآن الكريم هو عمدتنا في اللغة، وحجتنا في البيان العربي، وهو هنا يعلمنا أنه إذا وجدت متعاطفات، وأراد المتكلم أن يعني بأحدها مزيد عناية فإنه ينبغي له أن يغير فيه أسلوب العطف ليدل على غرضه بنصبه على المدح ، فمعنى قوله تعالـــى : ﴿ وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾: أي وأمدح المقيمين الصلاة، وذلك لأن الصلاة قد اشتملت على عمل القلب وهو الخشوع لله تعالى، وعمل الجوارح من ركوع وسجود ونحوها من أمارات ذلك الخضوع، وعمل اللسان من نطق بالشهادتين وتلاوة كلام الله تعالى، وهي إذا أقيمت في وقتها على وجهها فإنها تنهى فاعلها عن الفحشاء والمنكر، فكل ذلك من الأسباب التي تجعل للمقيمين الصلاة ميزة يمتازون بها، فلهذا جاء القرآن الكريم بنصب ﴿ ٱلْمُقِيمِينَ ﴾.

المسألة العاشرة :

وقال جرجس سال وتبعه صاحب الذيل: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾، والوجه: والصابئين.

ونحن نقول وبالله التوفيق: ما الحيلة في رجل يهرف بما لا يعرف أو جماعة لا غرض لهم إلا تضليل العقول بالجهل المبين، وإلا فهل يعلم القراء أن واضعي اللغة العربية أنفسهم يستدلون بهذه الآية على أوجه مختلفة تزيد عن تسع، وهل يظنون أن

جرجس سال الذي نقل هذا الاعتراض لم يطلع على ذلك – إنني لا أظن ذلك، بل أقول إنه إما أن يكون قد اطلع و لم يفهم شيئا أو فهم ولكنه يريد التضليل، وكلاهما معيب لا يليق أن يصدر عن رجل يريد أن يكتب عن الإسلام، ولولا أن المقام هنا ليس مقام نحو وإعراب لذكرت للقراء أوجه الإعراب التي في الآية جميعها ولكني أكتفي منها بوجهين. أحدهما: أن لفظ (إن) وإن كان ينصب على المبتدأ لفظا ولكنه لا يزال مرفوعا محلا فيصح لغة أن يعطف الصابئون على محل اسم إن سواء كان ذلك قبل مجيء الخبر أو بعده.

والآية الكريمة شاهدة على ذلك فهي جارية على القواعد العربية لفظا ومعنى.

ثانيهما: أن المراد من الآية ذكر أصناف اليهود والنصارى، فمن اليهود والنصارى المنافقون وهم الذين آمنوا في الظاهر، ومن اليهود الصابئون فذكر الله تعالى المنافقين واليهود وقال لهم: إن آمنتم بالله حقا وعملتم صالحا فلكم أجركم عند الله ولا خوف عليكم، ثم ذكر الصابئين والنصارى وقال لهم ذلك القول، وبذلك يكون قد ذكر الأصناف الموجودة في شبه جزيرة العرب من أهل الكتاب.

فإفراد الصابئين بالذكر كإفراد المؤمنين في الظاهر، للإشارة إلى أنهم كغيرهم من اليهود والنصارى، وعلى هذا يكون خبر إن محذوفا وهو من آمن منهم بالله.. إلخ لدلالة من آمن الموجود عليه فكأنه قال: إن الذين آمنوا إيمانا ظاهرا وهم المنافقون والذين هادوا وهم اليهود. من آمن منهم إيمانا حقيقيا فلهم أجرهم.. إلخ. والصابئون النصارى من آمن منهم بالله فلهم أجرهم.. إلخ. فالصابئون مبتدأ والنصارى معطوف عليه ومن آمن إلخ خبر المبتدأ وهو يدل على خبر إن المحذوف كما قلنا (١).

(١) أدلة اليقين ص ٢٨١.

المسألة الحادية عشرة :

لعل القراء قد سئموا من نقل جهالات جرجس سال وصاحب الذيل في هذا المقام ولكنني أستمنحهم معذرة في نقل هذا الاعتراض.

فقد عرفت فيما نقلته لك عن جرجس سال أنه قال: ومن خطأ القرآن في الضمائر أنه قال في سورة الأنبياء: ﴿ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ ﴾، والوجه: «وأسر النجوى». نقول وبالله التوفيق: ليس بصحيح أن قوله تعالى ﴿ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ ﴾ هو نوع من خطأ القرآن الكريم في استعمال الضمائر، ذلك أن هذا التركيب مطابق لقواعد اللغة العربية باتفاق «ولكن علماء اللغة العربية اختلفوا في الفاعل الذي أسند إليه الفعل في مثل هذا التركيب. فالجمهور يقولون: إنه مسند لنفس الضمير. والاسم الظاهر بدل منه، فإذا قلت: جاؤا الصالحون، فإنه ينبغي أن تعرب جاء فعل ماضي وواو الضمير فاعل والصالحون بدل، وبعضهم يقول: إن ذلك ليس بلازم، إذ يصح أن يعرب جاء فعل والواو علامة الجمع والصالحون فاعل، ولكن العمل بهذا الرأي قليل ويعبر عنه علماء العربية بلغة أكلوني البراغيث.

وقد استدل للرأي القليل بشواهد كثيرة من كلام العرب منها:

يلومونني في اشـــتراء النخيـــ ـــل أهـــلي فكلـــهم يعـــذل

ومنها:

[رأين الغواني الشيب لاح بعارضي فأعرضن عني بالخدود النواضر]

ومنها:

تولـــى قتال المارقـــين بنفسه وقد أسلماه مبعـــد وحـــميم

فهذه الأبيات العربية تدل على أن الفعل مسند للاسم الظاهر، أما الضمير فهو

حرف يدل على التثنية أو الجمع كما بين في محله»[١].

هذا كل ما زعمه جرجس سال وصاحب الذيل ومنه يتضح للقراء صدق ما ذكرناه غير مرة من جرأة هؤلاء الناس على الحقائق العلمية ونزولهم إلى ميادين المناظرات، وهم عزل من كل سلاح، مجردون من كل دليل، لا هم لهم إلا التهويش والتضليل ظنا منهم أن ذلك يؤثر على نفوس الضعاف، فيقعون في حبائلهم التي يصطادون بها الجهلة والأحداث ليبرروا ما يبتزونه من أموال باسم الإصلاح الديني، والله يعلم أنهم من شرار المفسدين الذين لا هم لهم إلا إشباع بطونهم وقضاء ملاذهم الفاسدة وشهواتهم القاتلة فلهم من الله أشد العقاب يوم لا ينفع مال ولا بنون.

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد ... وينكر الفم طعم الماء من سقم

الشبهة الثانية: نقض الادعاء بوجود لغات غير عربية في القرآن الكريم

قال جرجس سال في ص ١٢٣ من كتابه (مقالة في الإسلام): «وقد وقع الإجماع على أن القرآن كتب بأنصع لغات العرب وأفصحها، وذلك بلغة قريش أشرف قبائلهم وأوفرهن حظا من الأدب، وهو لا يخلو مع ذلك عن شيء من لغات القبائل الأخرى».

وقال صاحب ذيل مقالة في الإسلام في ص ٤٦٢-٤٦٤: «وقال أهل العلم: إن صاحب الفصاحة بأي لسان كان هو الذي لا يحتاج إلى استعارة ألفاظ من لغة غيره إذا وجد في لغته ما يرادفها، فإن كان الأمر كذلك في حق المخلوقين فما ظنك بالإله القادر على خلق الألفاظ باللغة التي كان مزمعا أن يخاطب بها الناس ويجبرهم بالإعجاز في فصاحتها على الإيمان برسوله.

(١) أدلة اليقين ص ٤٨٣.

إلا أن مصنف القرآن قد احتاج إلى لسان غيره في كتاب زعم أنه أنزل عربيا، وخاطب به أعرابا فصحاء، فأتاهم فيه بالإستبرق والسندس والأباريق والنمارق وأشباه ذلك من ألفاظ الفرس، وبالحواريين والمائدة والمشكاة من ألفاظ الحبش، وبالقسطاس والفردوس من ألفاظ اليونان، وبالسكينة والملة وعليين والمثاني من ألفاظ اليهود، فهل ضاقت عليه العربية فلم يجد فيها ما يغنيه عن غيرها مع أنها في زعم أمته أوسع اللغات وأفصحها، ومع أن كتابه منزل بها، وليته فهم معنى ما استعاره فإنه أخطأ في هذا أيضا، إذ السكينة التي جاء بها في قوله ﴿إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ أصلها بالعبرانية «شخينة» وتفسيرها «المجد» أي مجد الرب، هذا هو معناها الذي أرادته التوراة لما ذكرت تابوت العهد، فتلقف مصنف القرآن هذه اللفظة من اليهود وضمنها إلى كتابه من غير أن يفهم حقيقة معناها، وأوردها فيه على الطرقة المبهمة التي ألفها، فأتعب المفسرين في تأويلوها حتى تأولها بما يضحك منه، أما الملة فمعناها بالعبرانية كلمة لا دين كما أراد، وعليون اسم الله بتلك اللغة لا كتاب مرقوم كما وهم». أ.هـ.

نقول وبالله التوفيق: لا شك أن اللغة العربية هي إحدى اللغات القديمة، وأن القرآن الكريم كله فصيح العبارة، وبليغ الأسلوب، فمن كان عنده في ذلك أدنى شك وارتياب وأراد أن يعرف ذلك حق المعرفة فعليه أولا وقبل كل شيء أن يعتنق الإسلام، أو ينصف الإسلام على الأقل، ثم يتعلم جميع علوم الأدب العربي، ويتعرف على جميع أساليب العرب، ويطيل النظر في مراتب الكلام وطبقاته، حتى تستحكم عنده ملكة النقد الأدبي، ثم ينظر في القرآن الكريم بعد ذلك ليحكم هل هو فصيح أو غير فصيح؟ أو هل هو بليغ أو غير بليغ؟ ومن لم يفعل ذلك وحكم على القرآن الكريم بعدم فصاحه وبلاغته فمثله كمثل من يحكم وهو لايعرف القضاء ولا العدالة.

ونحن لا ننكر أن صاحب الفصاحة بأي لسان كان هو الذي لا يحتاج إلى استعارة ألفاظ من لغة غيره إذا وجد في لغته ما يرادفها، ونحن نرفض رفضا باتا أن

تكون في القرآن الكريم كلمات أعجمية، لأن الله سبحانه وتعالى قال في سورة يوسف آية ٢: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا ﴾، وقال في سورة فصلت آية ٤٤: ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ ﴾.

كما لا ننكر أن في القرآن الكريم أعلاما أعجمية، ولكن نطقها القرآن بلسان عربي مبين ومنطق عربي فصيح، فتحولت إلى كلمات عربية، من أجل ذلك لا توجد في القرآن الكريم كلمة واحدة غير عربية.

قال القرطبي في مقدمة تفسيره الكبير ص ٦٨: «لا خلاف بين الأئمة في أنه ليس في القرآن اسم مركب على أساليب غير العرب، وأن فيه أسماء أعلاما لمن لسانه غير لسان العرب.

واختلفوا هل وقع فيه ألفاظ غير أعلام مفردة من غير كلام العرب، فذهب القاضي أبو بكر الطيب والطبري وغيرهما إلى أن ذلك لا يوجد فيه، وأن القرآن عربي فصيح، وما وجد فيه من الألفاظ التي تنسب إلى سائر اللغات إنما اتفق فيها أن تواردت اللغات عليها فتكلمت بها العرب والفرس والحبشة وغيرهم.

وذهب بعضهم إلى وجودها فيه، وأن تلك الألفاظ لقلتها لا تخرج القرآن عن كونه عربيا مبينا، ولا رسول الله عن كونه متكلما بلسان قومه، قال ابن عطية: فحقيقة العبارة عن هذه الألفاظ أنها في الأصل أعجمية، لكن استعملتها العرب وعربتها فهي عربية بهذا الوجه، انتهى»(١).

والرأي المختار عندي الرأي الأول: لما فيه من امتياز اللغة العربية من غيرها من اللغات، غير أن الرأيين قد اتفقا على أنه لا يوجد في القرآن الكريم لفظ واحد غير عربي، سواء أكان من الأعلام أم من غيرها.

(١) الجامع لأحكام القرآن ج ١ ص ٦٨.

وقد أعطى (صاحب الذيل) أمثلة للكلمات القرآنية، التي زعم أنها لغات أجنبية، أي غير عربية، كمثل إبراهيم، وآدم، وفرعون، وهاروت، وماروت، والجن، والطاغوت، والصراط، والقسطاس، والحور، والفردوس، والتابوت، والسكينة، والتوراة، والإنجيل، والإستبرق، والسندس، والأباريق، والنمارق، والزكاة، والماعون، والمشكاة، والملة، والمائدة، والمثاني، والعليون، وجهنم، والملكوت، والحواريون، والحبر، وعدن.

والجواب: أن جميع ما ذكره المستشرق (صاحب الذيل) من الكلمات القرآنية عربي محض، ما عدا أعلام العجم منها، كإبراهيم، وموسى، وعيسى وغيرها من أعلام العجم، ولكن القرآن الكريم عرب هذه الأعلام ونطقها بنطق عربي فصيح، فهي عربية بهذا الوجه.

أما لفظا (هاروت وماروت) فهما عربيان من الهرت والمرت بمعنى الكسر (تفسير أبي السعود عند شرحها)(١).

ولفظ (آدم) من أدمة الأرض وأديمها، وهو وجهها فسمي بما خلق منه، قاله ابن عباس، قال سعيد بن جبير، إنما سمي آدم لأنه خلق من أديم الأرض، وإنما سمي إنسانا لأنه نسي (تفسير القرطبي في شرح قوله تعالى ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ ﴾)(٢).

ولفظ (فرعون) على وزن فعلون، والجمع فراعنة، قال ابن الجوزي: وهم ثلاثة: فرعون الخليل، اسمه: سنان، وفرعون يوسف، واسمه الريان بن الوليد، وفرعون موسى، واسمه الوليد بن مصعب (المصباح المنير)، (وقال صاحب مختار الصحاح: فرعون لقب الوليد بن مصعب ملك مصر، وكل عات متمرد فرعون، واحد

(١) تفسير أبي السعود المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم- أبو السعود محمد ابن محمد العمادي ج ١ ص ١٣٨ - دار إحياء التراث العربي.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ج ١ ص ٢٧٩.

(الفراعنة)، وقد (تفرعن)، وهو ذو فرعنة أي دهاء ونكر، ص ٨٥٦).

ولفظ (الجن) ضد الإنس، الواحد (جنى) قيل: سميت بذلك لأنها لا ترى (مختار الصحاح)، وقال ابن الأثير في النهاية: جن عليه الليل، أي ستره، وبه سمى الجن لاستارهم واختفائهم عن الأبصار، ومنه سمى الجنين لاستاره في بطن أمه) (١).

(ولفظ (الطاغوت) مؤنثة من طغى يطغى، وحكى الطبري: يطغو- إذا جاوز الحد بزيادة عليه، ووزنه فعلوت، مذهب سيبويه أنه اسم مذكر مفرد كأنه اسم جنس يقع للقليل والكثير، ومذهب أبي علي أنه مصدر: كرهبوت وجبروت وهو يوصف به الواحد والجمع، وقلبت لامه إلى موضع العين، وعينه موضع اللام: كجبذ وجذب، فقلبت الواو ألفا لتحركها وتحرك ما قبلها، فقيل: طاغوت، وهو على وزن فعلوت واختار هذا القول النحاس وقيل: أصل طاغوت في اللغة مأخوذة من الطغيان يؤدي معناه من غير اشتقاق..

وقال الجوهري: والطاغوت: الكاهن والشيطان، وكل رأس في الضلال، وقد يكون واحدا قال الله تعالى: ﴿ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ ﴾، وقد يكون جمعا، قال الله تعالى: ﴿ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ ﴾ ، والجمع الطواغيت (تفسير القرطبي في شرح قوله تعالى: ﴿ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ ﴾) (٢).

ولفظ الصراط أصله في كلام العرب: الطريق، قال عامر بن الطفيل:

شحنا أرضهم بالخيل حتى ... تركناهم أذلَّ من الصـــراط

وقرئ (السراط) بالسين من الاستراط بمعنى الابتلاع، كأن الطريق يسترط من

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر – ابن الأثير ج ١ ص ٣٠٧ تحقيق طاهر الزاوي ومحمود الطناحي.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ج ٣ ص ٢٨١، ٢٨٢.

يسلكه (تفسير القرطبي في شرح قوله تعالى: ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ ﴾ وقال صاحب الصحاح: الصراط والسراط والزراط: الطريق) (١).

ومعنى الآية: ثبتنا على المنهاج الواضح.

وقال جرير:

أمير المؤمنين على صـــراط ... إذا اعوج الموارد مستقيم

(ولفظ (القسطاس) مركب من قسط بمعنى: عدل، وطاس بمعنى: كفة الميزان (ثبات الإيمان ونصرة القرآن ص ٢٤٧)، وقال صاحب مختار الصحاح: القسطاس: بضم القاف وكسرها: الميزان) (٢).

(ولفظ (الحور) يكون بمعنى البيض في قول قتادة والعامة، وهو جمع حوراء، والحوراء: البيضاء التي يرى ساقها من وراء ثيابها، ويرى الناظر وجهه في كعبها، كالمرأة من دقة الجلد وبضاضة البشرة وصفاء اللون.

فمعنى الحور هنا: الحسان الثاقبات البياض بحسن، وذكر ابن المبارك: أخبرنا معمر عن ابن مسعود قال: إن المرأة في الحور العين ليرى مخ ساقها من وراء اللحم والعظم، ومن تحت سبعين حلة، كما يرى الشراب الأحمر في الزجاجة البيضاء، وقال مجاهد: إنما سميت الحور حورا لأنهن يحار الطرف في حسنهن وبياضهن وصفاء لونهن، وقيل: إنما قيل لهن حور لحور أعينهن، والحور بفتح الحاء والواو: شدة بياض العين في شدة سوادها، امرأة حوراء بينة الحور، يقال: احورت عينه: احورارا، واحور الشيء ابيض (تفسير القرطبي في شرح قوله تعالى: ﴿ وَزَوَّجۡنَٰهُم بِحُورٍ عِينٖ ﴾) (٣).

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ج ١ ص ١٤٧، ١٤٨، لسان العرب- أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري- ج ٣ ص ١٩٩٣.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ج ١٠ ص ٢٥٧.

(٣) المرجع السابق ج ١٦ ص ١٥٢-١٥٣.

(والفردوس: البستان، قال الفراء: هو عربي، والفردوس أيضا حديقة في الجنة، وفردوس اسم روضة دون اليمامة، والفراديس موضع بالشام (مختار الصحاح)، وقال القرطبي في شرح قوله تعالى: ﴿ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴾: قال الفراء: الفردوس هو عربي بمعنى البستان، والفردوس حديقة في الجنة، وفردوس اسم روضة دون اليمامة والجمع فراديس، قال أمية بن أبي الصلت الثقفي:

كانت منازلهم إذ ذاك ظاهرةً ... فيها الفراديس والفُومانُ والبصلُ(١).

والتابوت أي: الصندوق: وهو فعلوت من التوب الذي هو الرجوع، لما أنه لا يزال يرجع إليه ما يخرج منه، وتاؤه مزيدة لغير التأنيث، كملكوت ورهبوت، والمشهور أن يوقف على تائه من غير أن تقلب هاء، ومنهم من يقلبها إياها، والمراد به صندوق التوراة، وكان قد رفعه الله عز وجل بعد وفاة موسى عليه الصلاة والسلام سخطا على بني إسرائيل لما عصوا واعتدوا، فلما طلب القوم من نبيهم آية تدل على ملك طالوت قال لهم: إن آية ملكه أن يأتيكم التابوت من السماء والملائكة يحفظونه، فأتاهم كما وصف، والقوم ينظرون إليه حتى نزل عند طالوت، وهذا قول ابن عباس رضي الله عنهما (تفسير أبي السعود في شرح قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ ﴾)(٢).

ولفظة (سكينة) في قوله تعالى ﴿ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ فعيلة مأخوذة من السكون والوقار والطمأنينة، وليست في الأصل (شخينة) بمعنى المجد كما زعمه صاحب الذيل حتى تكون معربة لا عربية، فقوله تعالى ﴿ فِيهِ سَكِينَةٌ ﴾ أي فيه سبب سكون قلوبكم فيما اختلفتم فيه من أمر طالوت، ونظيره: ﴿ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ ﴾ أي أنزل عليه ما سكن به قلبه، وقيل: أراد أن التابوت كان سبب سكون قلوبهم،

(١) الجامع لأحكام القرآن ج ١١ ص ٦٨.
(٢) تفسير أبي السعود ج ١ ص ٢٤١.

فأينما كانوا سكنوا إليه ولم يفروا من التابوت إذا كان معهم في الحرب (تفسير القرطبي في شرح قوله تعالى ﴿ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾)(١).

(والتوراة معناها: الضياء والنور، مشتقة من ورى الزند إذا خرجت ناره، وأصلها توريَة على وزن تفعلة، التاء زائدة، وتحركت الياء وقبلها فتحة فقلبت ألفا، ويجوز أن تكون تفعلة فتنتقل الراء من الكسر إلى الفتح، كما قالوا في جارية: جاراة وفي ناصية: ناصاة، كلاهما عن الفراء، وقال الخليل: أصلها فَوعَلة، فالأصل ووْرَية، قلبت الواو الأولى تاء كما قلبت في تولج، والأصل ووْلج فوعل من وَلَجت، وقلبت الياء ألفا لحركتها وانفتاح ما قبلها، وبناء فَوْعلة أكثر من تفعلة وقيل: التوراة مأخوذة من التورية وهي التعريض بالشيء، والكتمان لغيره، فكأن أكثر التوراة معاريض وتلويحات من غير تصريح وإيضاح. هذا قول المؤرج، والجمهور على القول الأول،لقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ ﴾ يعني التوراة (تفسير القرطبي في شرح قوله تعالى: ﴿ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ ﴾)(٢).

والإنجيل إفعيل من النَّجْل وهو الأصل، ويجمع على أناجيل، وتوراة على توار، فالإنجيل أصل لعلوم وحكم، ويقال: لعن الله ناجليه بمعنى والديه، إذ كانا أصله، وقيل: هو من نجلت الشيء إذا استخرجته، فالإنجيل مستخرج به علوم وحكم، ومنه سمي الولد والنسل نجلا لخروجه كما قال:

إلى مَعشر لم يورثِ اللؤمَ جَدُّهم ... أصاغرَهم وكل فَحل لهم نَجْلُ

وقال الأعشي:

أنجـب أيـام والـداه بـه ... إذ نَجَـلاه فنعـم ما نَجَـلا !

(١) الجامع لأحكام القرآن ج ٣ ص ٢٤٨-٢٤٩، وراجع: لسان العرب ج ٣ ص ٢٠٥٣.
(٢) الجامع لأحكام القرآن ج ٤ ص ٥، وراجع: لسان العرب ج ٦ ص ٤٣٥٥.

قال الفارسي: معنى والداه به كما تقول: أنا وبالله وبك، والناجل: الكريم النجْل.

والنجل: الماء الذي يخرج من النـــز، واستنجلت الأرض، وبها نجال إذا خرج منها الماء فسمى الإنجيل به، لأن الله تعالى أخرج به دارسًا من الحق عافيا، وقيل: هو من النَجَل في العين (بالتحريك) وهو سعتها، وطعنة نجلاء، أي واسعة، قال:

ربَّما ضربةٍ بسيفٍ صقيلٍ بين بُصري وطعـــنةٍ نجـــلاء

فسمى الإنجيل بذلك، لأنه أصل أخرجه لهم ووسعه عليهم ونورا وضياء، وقيل: التناجل: التنازع وسمى إنجيلا لتنازع الناس فيه، وحكى شمرٌ عن بعضهم : الإنجيل كل كتاب مكتوب وافر السطور (تفسير القرطبي في شرح قوله تعالى:﴿ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴾)[١].

والسندس: مارق من الديـــباج، والإستبرق: ما غلظ منه، قال الشاعر:

تـــراهن يلبسن المشاعر مـــرة وإستبرق الديـــباج طورا لباسها

فالإستبرق: الديـــباج، قال ابن بحر: المنسوج بالذهب، وقال الجوهري:وتصغيره أبيرق، وقيل: هو استفعل من البريق، والصحيح أنه وَفَاق بين اللغتين، إذ ليس في القرآن ما ليس من لغة العرب (تفسير القرطبي في شرح قوله تعالى: ﴿ مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ ﴾ - ﴿ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ ﴾ - ﴿ عَٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ ﴾)[٢].

والأباريق: هي الآنية التي لها عرى وخراطيم، واحدها أبريق، سمى بذلك لأنه يبرق لونه من صفائه، وهي ضد الأكواب التي هي الآنية التي لا عرى لها ولا خراطيم

(١) الجامع لأحكام القرآن ج ٤ ص ٥.

(٢) المرجع السابق ج ١٠ ص ٣٩٧، ج ١٧ ص ١٧٩، لسان العرب ج١ ص ٢٦٣.

(تفسير القرطبي في شرح قوله تعالى ﴿ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ ﴾)[١].

والنمارق: الوسائد، الواحدة نُمرقة، قال الشاعر:

وإنا لنجرى الكأس بين شروبنا وبين أبي قابوسُ فوق النمـــارقِ

وقال آخر:

كهولٌ وشبانٌ حسانٌ وجوههم على سُرر مصفـــوفة ونمـــارقِ

وفي الصحاح: النُمْرُق والنُمْرُقَة: وسادة صغيرة. وكذلك النمرقة «بالكسر» لغة حكاه يعقوب. وربما سموا الطِّنفسة التي فوق الرحل نُمرقة، عن أبي سعيد (تفسير القرطبي في شرح قوله تعالى: ﴿ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ۝ ﴾):

وفي الحديث «اشتريت نمرقة» أي وسادة «وجمعها نمارق»[٢].

والزكاة مأخوذة من زكا الشيء: إذا نما وزاد، يقال زكا الزرع والمال يزكو إذا كثر وزاد، ورجل زكي أي زائد الخير، وسمى الإخراج من المال زكاة وهو نقص منه من حيث ينمو بالبركة وبالأجر الذي يثاب به المزكى ..

وقيل: أصلها الثناء الجميل، ومنه زكى القاضي الشاهد، فكأن من يخرج الزكاة يحصل لنفسه الثناء الجميل وقيل:الزكاة مأخوذة من التطهير كما يقال: زكا فلان أي طهر من دنس الجرحة والإغفال، فكأن الخارج من المال يطهره من تبعة الحق الذي جعل الله فيه للمساكين (تفسير القرطبي في شرح قوله تعالى:﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾)[٣].

والماعون: اسم جامع لمنافع البيت، كالقدر والفأس ونحوهما. والماعون أيضا الماء،

(١) الجامع لأحكام القرآن ج ١٧ ص ٢٠٣، لسان العرب ج ١ ص ٢٦٤.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ج ٢٠ ص ٣٤، لسان العرب ج ٦ ص ٤٥٤٧.

(٣) الجامع لأحكام القرآن ج ١ ص ٣٤٣.

والماعون أيضا الطاعة. وقوله تعالى: ﴿ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ۝٧ ﴾. قال أبو عبيدة: الماعون في الجاهلية كل منفع وعطية، وفي الإسلام الطاعة والزكاة، وقيل أصل الماعون معونة، والألف عوض عن الهاء.

وقيل الماعون: مفعول من أعان يعين، والعون: هو الإمداد بالقوة والآلات .. إلخ»[١].

والمشكاة: الكوة في الحائط غير النافذة، قاله ابن جرير وجمهور من المفسرين، وهي أجمع للضوء، والمصباح فيها أكثر إنارة منه في غيرها، وأصلها الوعاء يجعل في الشيء، والمشكاة: وعاء من أدم كالدلو يبرد فيها الماء، وهو على وزن مفعلة كالمقراة والمصفاة. قال الشاعر:

كأن عينيه مشكاتان في حجر ... قبضا اقتباضًا بأطراف المناقير

وقيل المشكاة: عمود القنديل الذي فيه الفتيلة. وقال مجاهد: هي القنديل. وقال: «في زجاجة» لأنه جسم شفاف، والمصباح فيه أنور منه في غير الزجاج، والمصباح الفتيل بناره (تفسير القرطبي في شرح قوله تعالى: ﴿ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ ﴾)[٢].

والملة: الشريعة والدين والطريقة، وقال ابن الأثير في النهاية: الملة: الدين، كملة الإسلام، والنصرانية، واليهودية، وقيل: هي معظم الدين، ولفظ الملة: اسم للشريعة وما سميت بذلك إلا لكونها تملي على الناس، والإملاء عربي، قال الشاعر:

فملتنا أننا المسلمون ... على دين نبينا والوحي[٣]

والمائدة: الخِوان الذي عليه الطعام، قال الفارسي: لا تكون المائدة مائدة حتى

(١) الجامع لأحكام القرآن ج ٢٠ ص ٢١٣، ٢١٤.
(٢) المرجع السابق ج ١٢ ص ٢٥٧، ٢٥٨.
(٣) لسان العرب ج ٦ ص ٤٢٧١.

يكون عليها طعام، فإن لم يكن قيل خِوان، وهي فاعلة من ماد عبده: إذا أطعمه وأعطاه، فالمائدة تميد ما عليها أي تعطي، ومنه قول رؤبة - أنشده الأخفش:

تهدى رءوس المترفين الأنداد ... إلى أمير المؤمنين الممتاد

أي المستعطى المسئول، فالمائدة هي المطعمة والمعطية الآكلين الطعام، ويسمى الطعام أيضا مائدة تجوزًا لأنه يؤكل على المائدة، كقولهم للمطر سماء، وقال أهل الكوفة: سميت مائدة لحركتها بما عليها، من قوله: ماد الشيء، إذا مال وتحرك، قال الشاعر:

لعلك باكٍ أن تغنَّت حمامة ... يَميدُ بها غُصن من الأيْك مائلٌ

ومنه قوله تعالى: ﴿ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ ﴾. وقال أبو عبيدة: مائدة: فاعلة بمعنى مفعولة، مثل: «عيشة راضية» بمعنى مرضية و «ماء دافق» أي مدفوق (تفسير القرطبي في شرح قوله تعالى: ﴿ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾)[١].

والمثاني في القرآن: ما كان أقل من المئين، وتسمى فاتحة الكتاب مثاني، لأنها تثنى في كل ركعة، ويسمى جميع القرآن مثاني أيضا لاقتران آية الرحمة بآية العذاب (مختار الصحاح).

قال ابن الأثير في النهاية: وفي ذكر الفاتحة: هي السبع المثاني، سميت بذلك لأنها تثنى في كل صلاة، أي تعاد، وقيل: المثاني: السور التي تقصر عن المئين وتزيد عن المفصل، كأن المئين جعلت مبادئ، والتي تليها مثاني»[٢].

ولفظ «عليين» اسم السماء السابعة وقيل: هو اسم لديوان الملائكة الحفظة، ترفع إليه أعمال الصالحين من العباد. وقيل: أراد أعلى الأمكنة وأشرف المراتب

(١) الجامع لأحكام القرآن ج ٦ ص ٣٦٧، لسان العرب ج ٦ ص ٤٣٠٥.
(٢) الجامع لأحكام القرآن ج ١ ص ١١٢، ج ١٠ ص ٥٥.

وأقربها من الله في الدار الآخرة، ويعرب بالحروف والحركات.

وقال الزجاج: إعراب هذا الاسم كإعراب الجمع كما تقول: هذه قِنِّسرين، ورأيت قِنِّسرين، وقيل معناه: علو في علو مضاعف»[١].

وقال مؤلف (ثبات الإيمان ونصرة القرآن): ولفظ عليين علم على ديوان الخير، منقول من جمع «علي» بكسر العين وتشديد اللام المكسورة وقيل: هو اسم على صيغة الجمع، فعليون كعشرين، ولذلك يعرب إعرابها. أ. هـ. ص ٢٤٥.

ولفظ «جهنم» من أسماء النار التي يعذب بها الله عباده، ولا يُجر للمعرفة والتأنيث (مختار الصحاح). وقال ابن الأثير في النهاية: ولفظة جهنم اسم لنار الآخرة وسميت بها لبعد قعرها . ومنه ركية «جهنام» بكسر الجيم والهاء والتشديد - أي بعيدة القعر» ج١ ص ٣٢٣.

ولفظ الملكوت: اسم مبني من الملك، كالجبروت والرهبوت، من الجبر والرهبة «النهاية لابن الأثير». وقال صاحب الصحاح: والملكوت من الملك، كالرهبوت من الرهبة، يقال له ملكوت العراق وهو الملك والعز. وقال القرطبي في تفسيره: والملكوت المبالغة كالجبروت والرهبوت (في شرح قوله تعالى: ﴿ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾)[٢].

ولفظ «الحواريين» جمع حواري، يقال: فلان حواري فلان أي خاص به، وأصله التحوير وهو التبيض، ومنه الدقيق الحواري، أي الذي نُخِل مرة بعد مرة.

ويطلق الحواري على القصار لأنه بيض الثياب (ثبات الإيمان ونصرة القرآن) ص ٢٤٦. وقال صاحب الصحاح: وقيل لأصحاب عيسى عليه الصلاة والسلام «الحواريين» كأنهم كانوا قصارين وقيل: الحواري الناصر، قال النبي عليه الصلاة

(١) الجامع لأحكام القرآن ج ١٩ ص ٢٦٢، ٢٦٣.
(٢) المرجع السابق ج ١٢ ص ١٤٥.

والسلام: «الزبير بن العوام ابن عمتي وحواري من أمتي».

و«الحبر» بالكسر والفتح: واحد أحبار اليهود، وبالكسر أفصح، لأنه يجمع على أفعال دون الفعول وقال الفراء: هو بالكسر، وقال أبو عبيدة: هو بالفتح، وقال الأصمعي: لا أدرى أهو بالكسر أو بالفتح.

قال ابن عباس: الأحبار هم الفقهاء، والحِبر والحبر: الرجل العالم وهو مأخوذ من التحبير وهو التحسين»[١].

«ولفظ «عدن» مأخوذ من عَدَن بالمكان إذا أقام فيه، يقال: عدنت البلد توطنته، وعدنت الإبل بمكان كذا: لزمته فلم تبرح منه، ومنه «جنات عدن» أي جنات إقامة (تفسير القرطبي في شرح قوله تعالى : ﴿ جَنَّتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا ﴾ - ﴿ أُولَٰئِكَ لَهُمْ جَنَّتُ عَدْنٍ ﴾)[٢].

«وجملة القول: إن كل ما في القرآن الكريم عربي محض ما عدا أعلام العجم فيه، وبه قال الأكثرون من علماء الإسلام ومنهم الإمام الشافعي، وابن جرير وأبو عبيدة والقاضي أبو بكر وابن فارس، وقد شدد الشافعي النكير على من قال بوجود كلمات غير عربية في القرآن الكريم، وقال أبو عبيدة: إنما أنزل القرآن بلسان عربي مبين، فمن زعم أن فيه غير العربية فقد أعظم القول، ومن زعم أن كذا بالنبطية فقد أكبر القول، وقال ابن أوس: لو كان فيه من لغة غير العرب شيء لتوهم متوهم أن العرب إنما عجزت عن الإتيان بمثله، لأنه أتى بلغات لا يعرفونها.

وقال ابن جرير: ما ورد عن ابن عباس وغيره من تفسير ألفاظ من القرآن الكريم إنها بالفارسية والحبشية والنبطية أو نحو ذلك إنما اتفق فيها توارد اللغات فتكلمت بها العرب والفرس والحبشة بلفظ واحد.

(١) الجامع لأحكام القرآن ج ٦ ص ١٨٩.
(٢) المرجع السابق ج ١٠ ص ٣٩٦.

وقال غيره: بل كان للعرب العاربة التي نزل القرآن بلغتهم بعد مخالطة لسائر الألسن في أسفارهم، فعلقت من لغاتها ألفاظا غيرت بعضها بالنقص من حروفها واستعملتها في أشعارها ومحاوراتها حتى جرت مجرى العربي الفصيح ووقع بها البيان، وعلى هذا الحد نزل بها القرآن. وقال آخرون: كل هذه الألفاظ عربية صرفة، ولكن لغة العرب متسعة جدا ولا يبعد أن تخفي على الأكابر الجُلّة، وقد خفي على ابن عباس معنى فاطر وفاتح.

وقال الشافعي رحمه الله في الرسالة: لا يحيط باللغة إلا نبي »[١].

وإني قائل إن شاء الله في ذلك قولا أرجو ألا يعدو الحقيقة وألا يبعد عن الصواب:

أرى والله أعلم أن اللغات في البيئات المتجاورة في عصورها الأولى كانت تستعير الكلمات من بعضها بعض، فتعرَّب كلمة فارسية، وتفرَّس أخرى عربية، وتتفرع من كلٍ مشتقاتها، وتقعد لها قواعدها في بيئتها الجديدة، فلما نزل القرآن الكريم كانت اللغة قد استقامت واستعدت واكتملت لتلقى كتاب الله تعالى.

إذن لا غضاضة في أن يكون أصل الكلمة غير عربي، ولكن العربية هضمتها هضما في بعض القبائل، فلما نزل القرآن كان جل كلامه من لغة قريش، وقليل منها من لغات سائر قبائل العرب، للدلالة على أنه كتابهم هم، وبلسانهم هم، فيقع التقارب بين القبائل كلها بذلك الزواج الشرعي بين مفرداتها جميعا، بعد أن استقرت العربية كما قدمت واستقامت على عودها، ونستطيع إعداد قاموس من مئات الكلمات العربية التي دخلت الإنجليزية والفرنسية ولغات الشرق، ولا يمكن أن يكون ذلك عيبا في القرآن الكريم، إلا إذا كان العرب غير عالمين بهذه الكلمات، فراحوا

(١) الإتقان في علوم القرآن - تأليف شيخ الإسلام جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ج ١ ص ١٧٨ مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ط رابعة ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م.

يبحثون عنها في أدمغة رجال اللغة الفرس والروم وغيرهم، ولكن هذا لم يحدث إطلاقا، فإن القرآن قبل نزوله كانت اللغة قد استقامت وتأهلت لهذه المهمة الجليلة. هذه واحدة.

أما الثانية: فإذا كانت التوراة مهمتها محدودة زمنا ومكانا والإنجيل كذلك، فمن الطبعي أن يخلو كل منهما من كل كلمة غريبة عن بيئتها المحدودة، أما القرآن الكريم وقد أنزل للناس كافة، فمن الإعجاز حقا أن يتضمن كلمات يفهمها العرب، ولا يستغرب معانيها على الفرس لأن لها مكانا في تراثهم، وكذلك مع الروم وغيرهم، فهو الكتاب الخالد لكل الأزمان، العام لكل الأمم، وهذه الكلمات لا أقول المستعارة بل العربية الأصيلة ذات المعنى المشترك بمثابة حبال أو دسر تشد بعض السفينة إلى بعض.

أما الثالثة: فقد يكون الأصل في هذه الألفاظ العجمة، وقد انتقلت إلى العرب حتى لانت بها ألسنتهم -كما تقدم- وجرت عندهم مجرى العربي الأصيل، وأصبحت مما يتكلم به العرب ويتخاطبون به، وإن لم يكن من أوضاعهم، وعلى هذا نزل بها القرآن، وهذا القدر كاف في تحقق عربيته، وعدم المنافاة لوصف القرآن الكريم بأنه عربي مبين. والله أعلم.

هذا وبالله التوفيق، والله أسأل أن يجعل عملي هذا خالصا لوجهه الكريم، وأن ينفعنا بما علمنا، إنه نعم المولى ونعم النصير وبالإجابة جدير.

بقلم:

أ.د/ علي علي علي شاهين

الأستاذ بقسم الدعوة الثقافة الإسلامية

بكلية أصول الدين جامعة الأزهر بالقاهرة